

طبيعة كلمة الله الواحدة المتجسدة

الأب الأستاذ صموئيل

١ - المقدمة

يسمو شخص يسوع المسيح سَمَوْاً يفوق كثيراً إدراكنا وتعبيرنا اللغوي حتى إنه لا توجد صيغة ملائمة لوصفه. وفي الوقت نفسه، تبنّت الكنيسة بعض التعبيرات فوضعت بذلك حداً يجب ألا نتجاوزه في تفكيرنا اللاهوتي المعلق بشخصه، ومع ذلك فهناك اختلافات في الرأي بين الكنائس الخلقيدونية والكنائس اللاخلقيدونية حول مسألة تحديد هذه العبارات (١). وحتى هنا يمكننا القول إن الإختلاف الحاسم بين التقليدين الكنسيين يقع في موقف كلٍّ منهما تجاه عبارة «طبيعة كلمة الله الواحدة المتجسدة». وهكذا تنزع كلّ الكنائس الغربية إلى الشك في هذه العبارة لكن في الشرق، تنظر الكنيسة^١ الارثوذكسية اللاخلقيدونية

١ - يقبل التقليد اللاخلقيدوني «دستور الإيمان النيقاوي» ورسالة كيرلس الثانية إلى نسطوريوس ورسالته الثالثة إليه أيضاً مع الأسبالات الإثني عشر ورسالة كيرلس إلى الشرقيين المعروفة بصيغة المصالحة. ويقبل أيضاً كتاب الإتحاد بكونه أرثوذكسياً. في التقليد الخلقيدوني هناك عدد كبير من الكنائس الغربية فاتر إلى حدّ ما في قبوله رسالة كيرلس الثانية إلى نسطوريوس مع الأسبالات. ولا تقتنع إقتناعاً جدياً أية كنيسة في الشرق أو في الغرب بكتاب الإتحاد. كما تقبل كلّ الكنائس الخلقيدونية كتاب لاون وصيغة الإيمان الخلقيدوني اللذين يرفضهما الجسم اللاخلقيدوني.

إليها بكونها الأداة اللغوية المركزية لتأكيد سرّ التجسد، فيما تقبل الكنيسة الارثوذكسية البيزنطية هذه العبارة بطريقة جزئية.

يؤكد كثير من العلماء الحديثين^(٢) أن العبارة تأتي أصلاً من تزوير ابوليناري منسوب إلى اثناسيوس الاسكندري. وحتى لو اعتبرت هذه النظرة صحيحة فلا يستلزم طرح العبارة وبندها، لأن العبارة الحاسمة في العقيدة النيقاوية أي عبارة «واحد مع الآب في الجوهر» (labo μετὰ τῷ πατρὶ) أو (shewa bousia) لم تكن ذات أصل وثني فقط^(٣)، بل إن مجمع انطاكية المنعقد عام ٢٦٨ الذي أبسل بولس السمسطائي أدامها^(٤). فالأصل غير الارثوذكسي للفظه، إذًا، لا يمكن الإستشهاد به كحجة ضد تبني اللاهوت الارثوذكسي لها، ما دام المعنى المنسوب إليها ارثوذكسياً وما دامت هناك حاجة إلى تأكيد ذلك المعنى. إن كيرلس الاسكندري، الحصن الكبير للارثوذكسية

٢ - لمعالجة موجزة لهذه النقطة أنظر

Δογματικὴ τῆς Ὁρθοδόξου Καθολικῆς Ἐκκλησίας

R.V. Sellers, *Two Ancient Christologies* (London, 1954), p. 89, esp. n.2. Panagiotes N. Trempele, (Athens, 1959), vol. II, p. 98.

فالكاتب الحاضر لم تُعط له فرصة دراسة الأسس التي قامت عليها نظرية العلماء الحديثين. فلذلك كان قبوله لها قبولاً عابراً.

٣ - أظهر G.L. Prestige في كتابه «الله في الفكر الأبائي» ص ١٩٧ إن *God in Patristic Thought* (1952 London) الفلانتينيين استخدموا عبارة

«واحد في الجوهر».

٤ - في دفاع اثناسيوس وإيلاريون أسقف بواتيه عن مجمع نيقية إعترافاً بهذا الواقع وواصلًا الإجابة عن المشكلة الناشئة عنها.

ضد تعليم المدرسة النسطورية في القرن الخامس^(٥)، رأى في عبارة «طبيعة كلمة الله الواحدة المتجسدة» أداة لغوية أساسية جداً لحفظ إيمان الكنيسة بشخص يسوع المسيح.

فكما أصبحت عبارة نيقية «واحد مع الأب في الجوهر» مساءة الفهم والتفسير عند رجال مختلفين زمناً طويلاً فإن عبارة «طبيعة كلمة الله الواحدة المتجسدة» أعطاها أيضاً بعض الرجال في الأيام السالفة ظلالاً مختلفة لمعانٍ خاطئة. قبل أن نشرع في بحثنا الموجز لهذه الأفكار الهرطوقية فمن الضروري أن ننعم النظر في مسألة أفتيخيوس.

II. تعليم أفتيخيوس

ὁμοούσιον ἡμῶν

يصعب أن نجيب عن اعتقاد أفتيخيوس الحقيقي إذ يُعتبر التصريحان اللذان أدلى بهما في المجمع المقيم عام ٤٤٨ المنعقد في القسطنطينية مشوشين، إذا لم يكونا مهرطقين^(٦). وهكذا عندما سئل أولاً ما إذا كان يؤكد أن ربنا كان «من جوهرنا نفسه». أجاب بهذه

or Shewa bousia lan)

٥ - يجب الإشارة هنا إلى أن عدداً من العلماء الحديثين الذين ينزعون إلى نقد لاهوت كيرلس. لكن يظهر بالنسبة إلى الكاتب الحالي أنهم أساؤوا فهم لاهوت كيرلس في اندفاعهم وحماستهم للدفاع عن لاهوت المدرسا الإنطاكية.

٦ - كل تصاريح أفتيخس المذكورة هنا هي مدونة في:

Mansi, *Sacrorum conciliorum nova et amplissimo collectio*, vol. '1, 696-753, and E. Schwartz, *Acta conciliorum occumenicorum*, n, i, pp. 122-147.

الطريقة: «بما أنني أعترف بإلهي بأنه سيد السماء والأرض، لم أدع نفسي إلى هذا اليوم أن أبحث في طبيعته. ما إن هو من طبيعتنا نفسها فأعترف بأنني لم أجزم حتى الآن هذا الأمر» وأيضاً «حتى هذا اليوم لم أقل في ما يخص جسد الرب إنه من طبيعتنا نفسها. لكنني أعترف بأن العذراء هي من طبيعتنا نفسها». لكن عندما أكره على الإجابة عن كيفية اختلاف طبيعة الابن عنّا في الوقت الذي كانت للآم طبيعتنا نفسها قال «إنني أوافق على كل شيء، كما تعلمون». واضح من هذه التصريحات أن أفتيخيس كان متردداً في التأكيد أن ربنا كان من طبيعتنا نفسها.

ثانياً، أجاب عن السؤال ما إذا كان يؤكد أن ربنا ذو طبيعتين بعد الاتحاد فقال «إنني أعترف بأن ربنا هو من طبيعتين قبل الاتحاد، لكنني اعترف بطبيعة واحدة بعد الاتحاد»

ὁμολογῶ ἐκ δύο φύσεων γεγενῆσθαι τὸν Κύριον ἡμῶν πρὸ τῆς ἐνώσεως, μετὰ δὲ τὴν ἔνωσιν μία φύσις ὁμολογῶ .

إذا سرنا مع منطق هذين التصريحين إلى النهاية فمن الممكن أن نؤوله كلامياً لنستخرج من آراء أفتيخيس موقفاً كهذا. قبل أن يصبح الله الابن متجسداً وقبل أن يتحد اللاهوت والناسوت في يسوع المسيح، كان «من طبيعتين»^(٧). لكن عندما اتحدت الطبيعتان، أصبح ذا «طبيعة واحدة». بما أن أفتيخيس كان

٧ - إلا إذا تسبنا إلى أفتيخيس مسيحية أوريجنس فإن تصريح أفتيخيس بلا معنى. إذا أولناه كلامياً فإننا نجعله مفكراً بارزاً بخلاف ما هو عليه.

ممانعاً في تأكيد أن المسيح كان من طبيعتنا نفسها، فإن تعبير «طبيعة واحدة» ربما عني له على نحو صحيح أن الناسوت فقد، كما كان، بعد الاتحاد.

هذا هو المعنى الذي رآه كتاب لاون، وبعض أساقفة خلقيدونية، والصيغة الإيمانية لخلقيدونية في أفتيخيس. فكتاب لاون، مثلاً، أثبت «استخدام كلمات مضللة»، إذ إن أفتيخيس قال: «صار الكلمة بشراً بطريقة تتضمن أن المسيح حُبل به في رحم العذراء وامتلك شكل إنسان بلا جسد حقيقي مُتخذ من أمه»^(٨) في مجمع خلقيدونية أعلن باسيليوس أسقف سلفكيه أن مجرد تأكيد أفتيخيس أن الله الكلمة صار بشراً باتخاذ الجسد كان كافياً لحفظ الإيمان.

ὥστε εἰπεῖν αὐτόν τόν τρόπον τῆς σαρκώσεως
καί ἐνανθρωπήσεως εἰ κατὰ πρόσληψιν σαρκός
οἶδε τόν θεόν λόγον γενόμενον ἄνθρωπον .

أما صيغة خلقيدونية، بإشارتها، على الأرجح، إلى أفتيخيس فأعلنت أن «آخرين أدخلوا تشويشاً واختلاطاً، متصورين بوقاحة أن اللاهوت والناسوت واحد، ومؤكدين بسخافة أن الطبيعة الإلهية للمولود الأوحد قابلة للتأثير نتيجة لهذا الاختلاط» وأن المجمع يبسل أولئك الذين يتخيلون وجود

٨ - أنظر

See T.H. Bindley, *The Occumenical Documents of the Faith*, Methuen (London, 1950), pp. 224-231. For the Greek passage below see Mansi VI 633 B, and ACO, II, I, p. 92: 164-166.

طبيعتين عند الرب قبل الاتحاد، لكنهم يجعلون من جديد طبيعة واحدة بعد الاتحاد»^(٩).

لكن هناك بعض تصاريح أفتيخيس الأخرى التي يظهر فيها الموقف مختلفاً. ففي تصريح أدلى به مشافهة في المجمع المقيم في القسطنطينية قال: «فيما يخص مجيئه بالجسد أعترف بأنه حدث من جسد العذراء وبأنه صار بشراً على نحو كامل (τελειως) من أجل خلاصنا». بهذا البيان أكد أفتيخيس التجسد الحقيقي». وأشار بشكل أوضح إلى النقطة نفسها في هذا الاعتراف بالإيمان. لقد أكد أفتيخيس «أن كلمة الله نفسه نزل من السماء بلا جسد وصار جسداً من جسد العذراء نفسه بلا تغيير ولا تحوّل على نحو عرفه وأراده هو نفسه. فالذي هو دائماً إله كامل قبل الدهور صار بشراً لأجلنا ولأجل خلاصنا»^(١٠). هذا البيان كان أرثوذكسياً بكل تأكيد، ومع أنه ناقص فربما نعتبره حافظاً لإيمان الكنيسة حفظاً كلياً. ولذلك يجب القول مع J.N.D. Kelly إنه من الواضح «أن الصورة التقليدية لأفتيخس كونها انتخاب بعض تصاريحه والوصول بها إلى استنتاجها المنطقي . . . فلم يكن من المشبهة ولا من

T.H. Bindley, *op. cit.*, pp. 232, 235.

- ٩

١٠ - فيما يخص إقرار أفتيخيس أنظر

G. Hahn, *Bibliothek der symbole und glaubensregeln der alten kirche* (Breslau, 1897), pp. 319-320, and Mansi, *op. cit.*, V 1016C.

الأبوليناريين، ولا شيء يمكن أن يكون أوضح من تأكيده حقيقة الناسوت وكماله...»^(١١).

في أيّ حال، فمن وجهة نظر استهلال النقاش في المسألة التي فصلت الكنيسة الخلقيدونية عن الكنيسة اللاخلقيدونية، فإن السؤال عمّا إذا اعتقد أفتيخيس نفسه اعتقاداً فعلياً بالنظرية التي نسبها إليه كتاب لاون وصيغة خلقيدونية هو سؤال غير مهم. ما هو مهم، من جهة أخرى، هو السؤال عمّا إذا آمنت الكنيسة الخلقيدونية بالأفكار التي نسبت إلى أفتيخيس. إن الجواب عن هذا السؤال واضح جداً، لأن ديوسقوروس الأسكندري عبّر هو نفسه عن هذا الرفض للأفكار التي أولت كلامياً إلى أفتيخيس في خلقيدونية^(١٢). والكنيسة اللاخلقيدونية باتباعها إياه أدانت عبر العصور هذه الأفكار وأدانت شخص أفتيخيس نفسه.

III. الأفكار الخاطئة المنسوبة إلى عبارة

«طبيعة كلمة الله الواحدة المتجسدة»

إذا تكلمنا بتوسع فإننا قد نصنّف هذه الأفكار تحت ثلاثة

J.N.D. Kelly, *Early Christian Doctrines* (Adam and Charles - ١١ Black, London, 1958), pp. 332-333.

Mansi VI 633C, and ACO. n.i,p. 92:168. - ١٢

١٣ - منذ البدء قاوم الجسم اللاخلقيدوني «الأفتيخية». وهكذا عندنا شاهد على أن ثيودوسيوس الأورشليمي الذي قاد الحركة ضد خلقيدونية في فلسطين بعيد المجمع وعلى أن تيموثاوس أورولس الإسكندري أدانا الذين يؤمنون بها.

أجزاء، وسنذكرها واحدة واحدة:

١ - ميل لرفض ناسوت المسيح

هذا الميل، كما رأينا، هو الموقف المنسوب إلى أفتيخيس. سواء آمن به هو نفسه أم لا، فهناك في الأزمنة القديمة من أصرَّ على هذا الرأي. أمثال هؤلاء الرجال سمّوا «بالأفتيخين». فيوحنا عالم البلاغة في الأسكندرية أخبر عنه أنه علّم «بالأفتيخية» في العقد الأول الذي تلا مجمع خلقيدونية^(١٤).

كان يوحنا عالم البلاغة، حسب زخريا، تلميذ فلسفة، حاول أن يدمج بعض الأفكار المستقاة من الإيمان المسيحي بتأمله العقلي. وهكذا أكد أن يسوع الناصري كان الله الكلمة الذي جا إلى العالم، فولد من عذراء دوغماً علاقة زوجية. فبما أنه ولد بهذه الطريقة فهو لا يقدر أن يكون إنساناً تاماً. وهكذا كان «طبيعة واحدة» بمعنى أنه كان إلهاً، لكن لم يكن إنساناً.

٢ - تعليم يرفض الخصائص الإنسانية عند يسوع المسيح

هو موقف أكثر حذاقة من الموقف السابق، فهذا التشديد يمكن أن يتوضَّح بالرجوع إلى سرجيوس النحوي. فسرجيوس الذي تبادل الرسائل مع سويروس الإنطاكي عبّر عن هذا التعليم على هذا النحو: «أن الإلوهة والجسد هما جوهران

Zacharia Rhetor, *Historia Ecclesiastica*, I (Syriac), pp. 163-164.

ousias. والأزلية هي ميزة الإلهوية، أما الفنائية (الفسادية) فهي ميزة الجسد». عندما صار الله الابن بشراً اتخذ جسداً و«ولد على نحو يفوق الطبيعة» (فوطييعيا)، والجسد «لم يرَ فساداً». لكن «بسبب الاتحاد نُبذت الخاصية الإنسانية». «فالأفضل، إذاً، القول بأن هناك خاصية واحدة» فقط في المسيح^(١٥).

إننا نجد هنا تأكيداً يعتبر اللاهوت والناسوت جوهرين مختلفين، كلٌّ جوهر له خاصيته. لكنها كانا متحدتين في المسيح على نحو ضاعت فيه الخصائص الإنسانية في الاتحاد. فأولئك الذين علّموا هذه الفكرة أخذوا عبارة «طبيعية واحدة متجسدة» كأداة لغوية ملائمة للحفاظ عليها.

لعله من المفيد في هذا الصدد أن نرجع إلى سوء فهم الموقف اللاخقليدوني الذي عبّر عنه أناس من الطرف الخقليدوني في العصور القديمة. فسويروس الإنطاكي يشير إلى أن يوحنا النحوي انتقد الموقف اللاخقليدوني لكونه آمن بأن «اللاهوت وجسد المسيح ألفا جوهرًا واحدًا وطبيعة واحدة»^(١٦). يمكن أن توضّح حجة النحوي بالطريقة التالية: كان اللاخقليدون يؤكّدون أن المسيح كان طبيعة واحدة متجسدة، وأنه ليس ذا

١٥ - أنظر Ad Nephaliium, ed J. Lebon (Louvain, 1949), (Syriac), pp. 71-72.

١٦ - إنتقد يوحنا النحوي موقف اللاخقليدنيين، وهذا الإنتقاد دحضه سويروس في كتابه: Liber Contra impium grammaticum للإطلاع على هذا النقد أنظر

Ibid, ed,J, Lebon (Louvain, 1952), I (Syriac), P. 20.

طبيعتين بعد الاتحاد. لكنّ التأكيد على أن المسيح كان من طبيعة الأب نفسها من حيث اللاهوت ومن طبيعتنا نفسها من حيث الناسوت يجب أن يُعتبر أساساً كافياً للقول إنه كان في طبيعتين. لكنّ القادة اللاخقليدونيين قاوموا عبارة «في طبيعتين». وسبب هذه المقاومة يجب أن يعود إلى أن المسيح في نظرهم كان جوهرًا واحدًا. بكلام آخر، اعتُبر مقاومو خلقيدونية معارضين لتأكيد حقيقة ناسوت المسيح.

إننا سنرى بعد قليل جواب القادة اللاخقليدونيين عن هذا النقد. ما يجب أن نشير إليه في هذا الإطار هو أن موقفهم أساء فهمه وتفسيره أشخاص من الجهة الخلقيدونية في العصور القديمة.

٣ - تعليم يعتقد بأن ناسوت المسيح كان غير قابل للفساد

أمن بهذا الموقف يوليانوس هليكرانسوس. والحق، أن أنصاره كانوا من الجسمين الخلقيدوني واللاخقليدوني كليهما. فجوستينيان نفسه تبنّى شكلاً من أشكاله في أواخر حياته، وجوستينيان كان مضطهداً للجسم اللاخقليدوني.

يمكن تلخيص تعليم يوليانوس على هذا النحو^(١٧). خلق

١٧ - يستند هذا النقاش حول تعليم يوليانوس إلى دراسة كتابات سويروس الإنطاكي ضد يوليانوس بالنسبة إلى التراسل الأول بينها أنظر Zacharia, *op. cit.*, II, pp. 102-112.

وإلى الكتابات الأخرى أنظر Severi *Antitullianistica*, A. Sanday (Beyrou, أنظر 1931) and British Museum M.S. No. 12158.

الله الإنسان في البدء غير مائت وغير فاسد من حيث الجوهر لكن بخطيئة آدم والسقطة الناشئة عنها خسر هذه الخاصية الأساسية. ولكي يخلص ابن الله الإنسان من موضعه الساقط تجسد ووحد بنفسه ناسوتاً حقيقياً وكاملاً. لكن الناسوت الذي اتخذته كان منزهاً عن الخطيئة الى حد أنه كان أساساً ممتنعاً على الألم والموت والفساد. لكن يوليانوس آمن بأن المسيح كابد الآلام ومات على الصليب طوعاً من أجلنا. وفي الوقت نفسه أكد أن جسد ربنا كان غير فاسد منذ لحظة تكوينه في رحم العذراء.

من بين الآراء التي أكدها يوليانوس بعض منها أرثوذكسي والبعض الآخر هرطوقي.

وهكذا يمكن الإشارة إلى الأفكار الأرثوذكسية في تعليم يوليانوس وهي:

أ - تجسد ابن الله ووحد بذاته ناسوتاً حقيقياً وكاملاً.
ب - كان المسيح منزهاً عن الخطيئة كلياً مثلما كان الإنسان.

ج - كان الألم والموت اللذان تحمّلها المسيح ضروريين لخلاصنا، فاتخذها الإله الابن وكأنها من خاصته.

لكن أفكار يوليانوس التالية تظهر هرطوقية

أ - عندما تجسد الإله الابن وحد بذاته ناسوت آدم قبل السقوط. وهكذا كان في جوهره ممتنعاً على الألم والموت.
ب - كان جسد ربنا غير قابل للفساد، لا بعد القيامة

فقط، ولكن من لحظة الحمل به في رحم العذراء.

ج - يكون المسيح إنساناً فقد كان من طبيعتنا نفسها، لا بمعنى أن ناسوته كان ناسوتنا، لكن بمعنى أن ناسوته كان الناسوت الأساسي لآدم قبل السقوط. بكلام آخر لم يكن الناسوت عند يوليانوس بلا خطيئة فقط، بل إنه لم يكن متورطاً في الوضع الساقط للجنس البشري.

IV الكنيسة الأرثوذكسية اللاخليدونية في وجه هذه التأكيدات الخاطئة

الحق أن قادة الكنيسة الأرثوذكسية اللاخليدونية لم يرفضوا هذه المواقف الثلاثة فقط، بل دحضوها أيضاً. وكما أشرنا منذ قليل فإن يوحنا عالم البلاغة عاش في العقد الذي تلا مجمع خلقيدونية. وثيودوسيوس الأورشليمي الذي قاد الحركة ضد خلقيدونية في فلسطين بعيد المجمع قاوم هذا التعليم حتى أنه دون بحثاً لدحضه^(١٨). ولقد نقل بعضهم أنه اتخذ إجراءات صارمة ضد «الإفتيخين» في فلسطين أيضاً. وتيموثاوس الإلغري الذي خلف ديوسقورس على كرسي الإسكندرية كان مقاوماً «للأفتيخية» كذلك. وأثناء نفيه في غنغرا ترك أسقف هرموبوليس أيزيا والقسيس ثيوفيلس الأسكندري مصر وأقاما في القسطنطينية حيث روجا الأفكار «الإفتيخية» وعندما سمع

Zacharia, *op. cit.*, pp. 161-164.

تيموثاوس هذا الخبر أرسل رسائل مقاومةً إياها حتى أنه في النهاية أسبلها^(١٩). وهكذا من وجهة نظر إدانة «الأفثيخين» وأفكارهم لا مجال للشك في أن الكنيسة اللاخلكيدونية تخلصت بقوة منهم كما تخلصت منهم الكنيسة الخلكيدونية تماماً. وفي الواقع نقدر أن نقول إن الكنيسة الأرثوذكسية القديمة في الشرق التي أنكرت مجمع خلكيدونية أقصت منذ البدء أيضاً كل الهراطقات التي أداها المجمع.

عبر عن الموقفين الخاطئين الثاني والثالث المشار إليهما أعلاه في أيام سويروس الانطاكي الذي دحضهما وأبعدهما بقيادته عن دائرته الكنسية إبعاداً مطلقاً.

وكما أشرنا كان سرجيوس النحوي المعبر عن الموقف الثاني. فأجابه سويروس قائلاً: إن تأكيد الإختلاف في الخصائص كان من تعليم الاباء. فهم أكدوا أن الطبيعتين اللتين اتحدتا في المسيح الواحد كانتا مختلفتين. «فالواحدة غير مخلوقة والثانية مخلوقة». لكن في الوقت الذي يستمر فيه «الإختلاف في خصائص الطبيعتين» فإن «الطبيعتين اللتين يتألف منهما المسيح الواحد تتحدان بلا اختلاط». على هذا النحو «يقال إن كلمة الحياة صار مرثياً ومحسوساً». عندما نفكر في عمانوئيل سنرى أن

١٩ - بالنسبة إلى هذه الحادثة والرسائل التي كتبها تيموثاوس أولوروس في هذا الصدد أنظر أفاغريوس نفسه الذي ذكر ان تيموثاوس أولوروس قائم الأفثيخية أنظر

Zacharia, Ibid., PP. 185-205, and 215-216. LXXXVI 260A.

اللاهوت والناسوت يختلفان، وبما أننا نعترف بالإتحاد، فنحن لا ننكر «الإختلاف الذي يدلّ على الطبيعتين اللتين يتألف منهما المسيح الواحد»، على الرغم من أننا ننبتد «عقلياً الإتحاد الاقنومي»^(٢٠). والحق أنه على أساس هذا القبول حلّ سويروس مسألة تأكيداً على الشركة *Communicatio idiomatum* في المصطلح بما أنه يؤكّد أنّ هناك تبادلاً في الخصائص عند المسيح لذلك يمكن «التعرف إلى الكلمة من خلال خصائص الجسد، إذ أصبحت الخصائص الإنسانية تنتمي إلى الكلمة وخصائص الكلمة إلى الجسد»^(٢١). ومن الممكن اقتباس مقطع من أعمال سويروس ضد يوحنا النحوي لنظهر كيف يدافع عن الإيعتراف بمبدأ الإختلاف في المسيح الواحد^(٢٢).

فهؤلاء، إذًا، الذين يعترفون بأن الرب يسوع المسيح هو واحد في لاهوته وناسوته وبأنه شخص واحد *prosopon* واقنوم واحد *hypostasis* وطبيعة واحدة للكلمة المتجسد يقرّون ويؤكدون أيضاً الإختلاف والتكامل والآخريّة بين الطبيعتين اللتين يتألف منهما المسيح الواحد على نحو لا يوصف. وبما أنهم يدركون ذلك بالفكر الحاذق وتأمل العقل، فهم لا يعتبرونها أساساً لتقسيم عمانوئيل إلى طبيعتين بعد الإتحاد.

وهكذا في تأييدنا لوجهة نظر سويروس فنحن نتبنى موقفاً

Ad Nephaium, op. cit., pp. 74-77.

Ibid., p. 79.

Contr. Gr., op. cit., III, p. 106.

- ٤٠

- ٢١

- ٢٢

متواصلًا مع القادة اللاخليقيديونيين الذين سبقوه. إن صيغة خليقيديونية تحوي، كما نعرف، أربعة أحولة تختص باتحاد الطبيعتين في المسيح وهي بلا اختلاط وتغير وانقسام وانفصال. هذه الصيغة تبناها مجمع خليقيديونية في ٢٢ تشرين الأول من عام ٤٥١. لكن في الثامن من تشرين الأول أي قبل ١٤ يوماً من هذا الحدث صرّح ديوسقوروس في خليقيديونية أنه في معارضنتنا عبارة طبيعتين بعد الإتحاد «أو عبارة» في طبيعتين «التي تشبهها» لا نتكلم على اختلاط ولا على انقسام. فليكن ميسلاً من يتكلم على امتزاج أو تغير أو اختلاط (٢٣)

οὔτε σύγχυσις λέγομεν , οὔτε τομήν . ἀνάθεμα τῷ λέγοντι ἡ σύγκρασις ἢ τροπήν ἢ ἀνάκρασις .

هنا يجب الإشارة إلى تصريح آخر أدلى به ديوسقوروس في مجمع خليقيديونية. ففي إحدى المناسبات أفاد أنه يتفق مع التأكيد القائل بأنه «من طبيعتين بعد الإتحاد» (٢٤). هذه الدلائل كافية للقول إنه في احتجاج ديوسقوروس على مجمع خليقيديونية لم يظهر أي تعاطف مع الموقف اللاهوتي الذي يرفض ناسوت ربنا.

أكد القادة اللاخليقيديونيون كلهم أن الله الابن في تجسده جعل الناسوت الحيّ بنفس عاقلة والذي هو من نفس طبيعتنا متحدًا بذاته، وأنه تحمّل حقاً الأهواء البريئة للجسد والنفس، وإنه لم يكن فيه اختلاط أو امتزاج في طبيعته. إذا ما أخذنا هذه

Mansi VI 676 D-677A; ACO. II, I, p. 112: 262-263.

- ٢٣

Mansi VI 692A; ACO. II, I, p. 120: 332.

- ٢٤

التأكيدات جدياً، أثناء تقويمنا لتعاليمهم، سنرى بالتأكيد أنهم في مقاومتهم مجمع خلقيدونية لم يجرّكهم أي تعاطف مع «الافتيحية» أو المونوفيزية من أي نوع. وسندرك أيضاً أنهم لم يفسروا عبارة طبيعة كلمة الله الواحدة المتجسدة «بطريقة تدلّ على ابتلاع الناسوت أو الخاصية الإنسانية».

أجاب سويروس أيضاً عن تهمة يوحنّا النحوي أن الجسم اللاخلقيدوني كان يجادل على أساس عبارة «طبيعة كلمة الله الواحدة المتجسدة» وأن اللاهوت والناسوت في المسيح ألفاً جوهرًا واحدًا. والحقّ أنه تحدّى النقد ليظهر على الأقلّ دليلاً صغيراً حتى يثبت مهمته فأوضح أن دائرة كنيسته لا تؤمن بتلك النظرة (٢٥). وهذا الأمر يعني أن عبارة «طبيعة واحدة متجسدة» عند سويروس والكنيسة التي يمثّل لم تدل على «جوهر واحد».

إن سويروس دحض رأي يولييانوس الهليكارنسوس. R.V. Selless في اعتياده كتاب R.Draguet Julien d'halicar- nasse et sa controverse avec severe d'Antioche sur L'incorruptibilite du corps du Christ (Louvain, 1924) (يولييانوس الهليكارنسوس وخلافه مع سويروس الانطاكي حول عدم فساد جسد المسيح) أكّد أن الإختلاف بين تعليم سويروس ويولييان كثيراً ما يكون في المصطلح (٢٦). والكاتب الحالي يجد

٢٥ - لهذا النقاش أنظر *Contr. Gr., op. cit.*, I, pp. 20-24

R.V. Sellers, *The Council of Chalcedon* (S.P.C.K., 1953), pp. ٢٦-309, note 6.

صعوبة في الموافقة على هذه القراءة للإختلاف بين سويروس ويوليانيوس^(٢٧). وحتى لو سلمّ جدلاً بأن هذه القراءة صحيحة فهل يؤكّد الطرف الخلقيدوني موقفاً أكثر ملاءمة من الموقف الذي آمن به سويروس؟

٧ - سويروس في «طبيعة كلمة الله الواحدة المتجسدة»

بما أن سويروس أتبع كيرلس الاسكندري فإنه قبل أربع عبارات تخصص بالتجسد وهي: من (EK) طبيعتين»، «اتحاد اقنومي»، «طبيعة كلمة الله الواحدة المتجسدة»، «طبيعة مركبة». وفي نظره تظل هذه العبارات قائمة معاً. فحتى يفهم المرء ماذا تعني له عبارة «طبيعة كلمة الله الواحدة المتجسدة» وماذا تعني للكنيسة التي يمثّل فلا بد من الإشارة إلى معنى هذه العبارات. اللفظة الحاسمة في هذه العبارات هي لفظة «الطبيعة» (φύσις أو kyono). من حيث المعنى يتفق سويروس والكتاب الخلقيدونيون في عصره على أنها تدلّ أما على الجوهر أو على الاقنوم hypostasis. فسويروس يُظهر أن لفظة الجوهر ousia مرادفة لللفظة «الصورة، الطراز eidos» عند افلاطون ولللفظة العامة التي تضمّ كلّ أعضاء بوع واحد. بلفظة الاقنوم (ἁπόστασις أو ἁρῆμο) عنى سويروس شخصاً ملموساً يكون فيه الجوهر (οὐσία أو ousio) فرداً. بكلام آخر، تدلّ لفظة

٢٧ - لقراءتنا للإختلاف بين الرجلين أنظر أعلاه ص ١٤٢ - ١٤٣

«الطبيعة»، عند الطرفين، أما على حقيقة دينامية موجودة في عالم الأفكار أو على موضوع ملموس ومعين ينتج عن تفردّه وتشخصه. لكنها يختلفان في تطبيق لفظة «الطبيعة» على شخص المسيح. ففي الوقت الذي يستخدمها النحوي بمعنى الجوهر فإن سوبروس يراها بمعنى الاقنوم (٢٨).

والآن فلنأت إلى العبارات نفسها لنرى أن سويروس أوضح أن المسيح كان «من (EK) طبيعتين». لكن بهذه العبارة ما أقرّ عبارته «طبيعتين قبل الاتحاد» (١٩) فقال «ما من إنسان يفكر تفكيراً صحيحاً أكّد في أيّ وقت مضى هذه العبارة حتى في الخيال» (٣٠). ولأن «اقنوم الله الكلمة موجود... قبل كل الدهور والازمنة، فهو كائن سرمداً مع الله الأب والروح القدس»، لكن «الجسد الذي يملك نفساً عاقلة لم يكن موجوداً قبل الإتحاد به» (٣١) فعبارته «من (EK) طبيعتين» تشير عند سويروس إلى فكرتين. من جهة تحفظ التأكيد بأن في المسيح كان هناك اتحاد الله الابن بناسوت متفرد، ومن جهة أخرى بأن المسيح كان استمراراً دائماً لذلك الإتحاد. لذلك كان المسيح «من (EK) طبيعتين»، وهكذا كان في الوقت نفسه الهاً كاملاً وإنساناً كاملاً بكونه «من طبيعة الله الأب نفسها» و «من طبيعتنا

٢٨ - يبحث سويروس نفسه في معنى هذه الألفاظ الحاسمة في كتابه *Contra Grammaticum* وفي بعض رسائله العقديّة.

٢٩ - هو يقاوم عبارة «طبيعتان بعد الإتحاد» في أماكن عديدة من كتاباته.

٣٠ - *Contr. Gram.*, II, p. 239.

٣١ - *Patrologia Orientalis*, XII, pp. 190-191.

نفسها». كان اتحاد الطبيعتين اتحاداً اقنومياً، به عنى سويروس أنه «في الإتحاد بالكلمة الذي هو قبل الدهور تكوّن الجسد وجاء إلى الوجود، وفي التقائه إياه (أي الجسد) اتخذ معه العينية Concreteness في الإتحاد. بهذه الطريقة يُعرّف المسيح من اللاهوت والناسوت على نحو غير منفصل وهو عمانوئيل الواحد»^(٣٢)

فوق ذلك تعني عبارة «اتحاد اقنومي» عند سويروس أنه في المسيح كان هناك التقاء لكل ما يتضمنه لاهوت الابن ولكل ما يفيدُه ضمناً الناسوت المتفرد. العبارة تعني أيضاً ما هو داخلي كلياً والميزة الشخصية للاتحاد.

في مقطع طويل من كتابه «محب الحق Philalethes» يبحث سويروس عبارة «طبيعة كلمة الله الواحدة المتجسدة». فيقول عندما تحدّث الاباء عن «طبيعة كلمة الله الواحدة المتجسدة» «أوضحوا أن الكلمة لم يتخلّ عن طبيعته» ولم يخضع لأي «فقدان أو نقص في اقنومه». وعندما أكدوا أنه «تجسد» أوضحوا أن «الجسد لم يكن سوى جسد، وإنه لم يخرج إلى الوجود من تلقاء نفسه بمعزل عن اتحاده بالكلمة». ويعود الفعل «تجسد» أيضاً إلى اتخاذ الكلمة للجسد من العذراء، إلى اتخاذ خرجت به الطبيعتان أي اللاهوت والناسوت، أي المسيح الواحد من مريم». فهو إله وإنسان بآن واحد، بكونه من طبيعة

٣٢ - هذا المقطع مأخوذ من. *Contr. Gram.*; II, pp. 239-241.

الآب نفسها من حيث اللاهوت، ومن طبيعتنا نفسها من حيث الناسوت (٣٣).

إن عبارة «طبيعة واحدة متجسدة» تؤكد أموراً ثلاثة:

- ١ - الله الابن نفسه هو الذي تجسّد.
- ٢ - في تجسده فرد الناسوت عندما وحدّه بذاته وجعله خاصة له.
- ٣ - الكلمة المتجسد هو شخص واحد.

ليست لفظة «الواحدة» في عبارة «طبيعة واحدة متجسدة» واحدة بسيطة، ولذلك لا يمكن أن نطبّق الميزات «المونوفيزية» على موقف سويروس. ويكون يسوع المسيح «طبيعة واحدة متجسدة» فهو طبيعة واحدة مركّبة. وفي تجسد الله الابن، بفعل تنازل إلهي، شاء أن يكون متحداً بالناسوت، إلى حدّ إنها اجتماعاً معاً دون أن تضيع واحدة منهما أو تنقص. وفي الوقت نفسه كان اتحادهما حقيقياً وكاملاً حتى أن المسيح كان «طبيعة واحدة مركّبة».

في وجه سوء الفهم الذي عبّر عنه التقليد الخلقيدوني في قوله إن الموقف اللاخلقيدوني تجاهل ناسوت المسيح سنضع معاً الأفكار التي أكدها سويروس في هذا الصدد:

- ١ - كان ناسوت المسيح ناسوتاً متفرداً، مشابهاً لناسوتنا بشكل كليّ ومتواصلاً معه، سوى أنه كان بلا خطيئة.

٣٣ - Philalthes, ed, Robert Hespel (Louvain, 1952) (Syriac), p. 139.

٢ - كان ناسوت المسيح متفرداً فقط في اتحاده الاقنومي بابن الله، وما زال وجوده كاملاً وحقيقياً في ذلك الإتحاد. لذلك لم يكن ناسوت المسيح موجوداً بشكل مستقل عن اتحاده بابن الله.

٣ - لم يوصل الإتحاد إلى خلط الناسوت باللاهوت ولا إلى ضياعه. ولذلك كان اللاهوت والناسوت موجودين في المسيح بميزتهما الخاصة ومتحدين بعضهما ببعض اتحاداً اقنومياً. فيجب ألا يُفصّل بعضهما عن بعض.

٤ - أخرج الإتحاد إلى الوجود شخصاً واحداً، وهذا الشخص الواحد هو شخص الله الابن في وضعه المتجسّد. هناك تمييز بين الابن قبل تجسده والابن المتجسد إلى درجة أن اقنوم يسوع المسيح وشخصه ليسا هما مجرد اقنوم الله الابن وشخصه.

٥ - كان ناسوت المسيح حقيقياً وتاماً ودينامياً في الإتحاد.

بما أن سويروس وقادة الكنيسة اللاخلفيدونية أكدوا كلّ هذه الأمور فلماذا رفضوا قبول عبارة «في طبيعتين»؟ في الواقع، إن سويروس في رسائله الى نفالوس وفي مؤلفه «كتاب ضد النحوي المجدف» Liber Contra Impium Grammaticum، قبل أن بعض الآباء الأوائل تحدّثوا عن المسيح بكونه من طبيعتين. ويؤكد سويروس أن هؤلاء الآباء عنوا بهذا التعبير أن المسيح كان إلهاً وإنساناً معاً. لكن المدرسة النسطورية قبلت العبارة لتأكيد

عقيدة الشخصيين. ولذلك يجب ألا تُستعمل فيما بعد. يقول
سويروس أيضاً:

«عندما نسل أولئك الذين يؤكدون أن لعمانوثيل طبيعتين
بعد الإتحاد مع أفعالها وخصائصها فإننا لا نضعهما تحت اللعنة
لأنهم يتكلمون على طبيعتين أو على أفعالها وخصائصها، بل
لأنهم يتكلمون على طبيعتين بعد الإتحاد وينسبون الأفعال
والخصائص إلى كل واحدة منهما، وبذلك يقسمونها بين
الطبيعتين» (٣٤).

هذا المقطع واضح وضوحاً كافياً. فانسيح هو «من
طبيعتين»، وخصائص وأفعال كل من الطبيعتين اللتين فيه هي
في حالة إتحاد لا ينقسم ولا ينفك. لإيضاح هذه النقطة نقول إن
الناس رأوا المسيح جائعاً أو عطشاناً أو مكابداً ألماً جسدياً صحيحاً
عندهم. القول على أساس ما رأوه بأن ناسوت المسيح كان
موضوع هذه الخبرات. وهكذا رآه الناس أيضاً يشفي المرضى
ويقوم الأموات. ومن الصواب أيضاً القول إن لاهوت المسيح
هو الذي فعل هذه الآيات. لكن في المسيح كان الجوع والقصور
المادي بشريين، وكانا متحدين به فجعلها الله الابن خاصته في
وضعه المتجسد. وفي الطريقة نفسها كانت الكلمات والأفعال
الفوشرية تعابير عن لاهوت الابن في اتحادها بالناسوت. بكلام
آخر، كان الشخص الواحد المتجسد موضوع كل كلام المسيح
وأفعاله. وهذا الشخص الواحد المتجسد كان «طبيعة كلمة الله

الواحدة المتجسدة» أو «الطبيعة الواحدة المركبة» للابن المتجسد. عندما تفكر ملياً فيه نقدر في تفكيرنا أن نتميز بين الطبيعتين، طبيعي اللاهوت والناسوت وكلّ ميزاتها الخاصة وأفعالها.

لكن كتاب لاون تخطى هذا المبدأ الصحيح، وجمع خلقيدونية ارتكب خطأ كبيراً عندما أعلنه وثيقة للإيمان. وفقاً لهذا الكتاب «كلّ طبيعة تفعل ما هو موافق لها بمشاركتها الطبيعة الأخرى. فالكلمة، مثلاً، فعل ما هو موافق للكلمة والجسد فعل ما هو موافق للجسد». تعليم من هذا النوع لا يؤكد وحدة المسيح الشخصية، بل ينظر إلى الطبيعتين وكأنهما شخصان. فعبارة «في طبيعتين» التي حددها مجمع خلقيدونية يجب أن تدلّ على تعليم الأسقف لاون نفسه ولذلك لا يمكن قبولها.

VI الاختلاف الحقيقي بين الموقفين الخلقيدوني واللاخلقيدوني

قَبِلَ الشرق الخلقيدوني، كما أشرنا، أرثوذكسية عبارة كيرلس «طبيعة كلمة الله الواحدة المتجسدة». فهو يؤمن بأنه من الضروري الحفاظ عليها لأنها تقيه من النسطورية. لكنه يضيف فيقول بما أن العبارة يمكن أن تؤخذ بمعنى مضلل لذلك يجب إضافة عبارة «في طبيعتين» إليها. وهكذا يمكن إقصاء الأفيخية بعبارة «في طبيعتين»، والابتعاد عن النسطورية بعبارة «طبيعة واحدة متجسدة».

من جهة أخرى، تؤكد الكنيسة اللاخلقيدونية أن هاتين العبارتين تتناقضان في المعنى وأنه على ضوء لاهوت كتاب لاون عبارة «في طبيعتين» لم تعن بالنسبة إلى مجمع خلقيدونية شيئاً أكثر من تعليم نسطوريوس. لأجل إقصاء «الأفتيحية» يمكن تأكيد عبارة «من طبيعتين» والتشديد على أن «الطبيعة الواحدة المتجسدة» هي «طبيعة واحدة مركبة». لذلك يرى الاختلاف الاصطلاحي الحقيقي بين التقليدين كامناً في الحرفين «en» و«ek».

كلمة في الختام

من الواضح جداً أن ديوسقوروس الأسكندري والكنيسة الأرثوذكسية اللاخلقيدونية لم يأخذا عبارة «طبيعة كلمة الله الواحدة المتجسدة» لرفض ناسوت المسيح أو الإقلال من شأنه. بل اعتبرها حاسمة لأنها كانت العبارة التي أكدوا بها وحدة شخص المسيح التي لا تنقسم. والحق، أنهما في مقاومتها لمجمع خلقيدونية فيما يتعلق بإثباته الإيجابي للإيمان الذي آمنأ بأنه كان النسطورية المتكررة، أبعدا كل الهرطقات التي أدانها المجمع.

ملحق

في ضوء الأسئلة التي أثرت أثناء النقاش الذي تلا قراءة هذا البحث رغب الكاتب في اقتراح هذه التغيرات في النص بغية إظهار المعنى المقصود بشكل أوضح.

١- أن نغير الأسطر الثلاثة في الصفحة ١٤١ السطر الرابع إلى «بكلامٍ آخر، لم يكن ناسوت المسيح عند يوليانوس بلا خطيئة فقط، لكنه كان أيضاً بلا علاقة حقيقية بالجنس الإنساني الساقط».

٢- أن نغير السطر التاسع في الصفحة ١٥٠ إلى: الإتحاد الذي نتج عن التقاء اللاهوت والناسوت في شخص واحد «أقنوم واحد» وهذا الشخص والواحد...»

٣- أن نغير ١٢ - ١٤ في الصفحة ١٥١ إلى «كابد الألم الجسدي والعقلي وأنهم يقدرّون أن يقولوا على أساس ما رأوا أنّ ناسوت المسيح هو الذي تحمّل هذه الخبرات».

النقاش المتعلق بمورقة الأب صموئيل

الأب رومانيدس : تركت دقة هذا البحث واورثوذكسيته انطباعاً قوياً في نفسي. وعلى أساس هذا العرض لا أقدر أن أرى أين نختلف في الأمور الأساسية. لأوضح ما أقول أودّ أن أشير إلى أن عبارة طبيعة كلمة الله الواحدة المتجسدة قبلها فلافيان وأفسافوس، على الرغم من وجود دليل قوي على أنها لم يفهماها بالمعنى الدقيق الذي به استخدمها كيرلس. إننا نرى ذلك من اعتراف فلافيان بالإيمان عام ٤٤٩ ونرى ذلك عند فلافيان وأفسافوس في محاضر جلسات أفسس ٤٤٩ وخلقيدونية. لقد سلّم بها مجمع خلقيدونية جدلاً معتبراً أنها مرادفة لطرق كيرلس الأخرى في التعبير عن الأمر نفسه أي أقنوم كلمة الله الواحد المتجسد.

على أساس بحث الأب صموئيل أودّ أن أسأل أخوتنا اللاخلقيدونيين إذا كانوا يقبلون:

- ١ - عبارة طبيعة واحدة مركبة بكونها مرادفة لعبارة جوهر واحد مركّب.
- ٢ - عبارة من طبيعتين بكونها مرادفة لعبارة من جوهرين.

إن الخلقيدونيين لا يقبلون هاتين العبارتين عندما تعني الطبيعة جوهرًا، لأنهم سيعنون بذلك جوهرًا واحدًا في المسيح بعد الاتحاد. وعندما نتحدث عن أنه في طبيعتين نعني أنه في جوهرين. بالطبع، أن للعبارة أصلًا لاتينيًا، لكنها تعتبر كافية عندما تكون تصريحًا مقاومًا للأفثيخية، ولذلك يجب ألا نوجهها عنوة لتكون لمصلحة النتائج الفلسفية من هذه المدرسة الفكرية أو تلك. إننا نقبلها كبيان إيماني فقط للتعبير من الوحدة المزدوجة للمسيح لا أكثر. عندما تكون لفظة الطبيعة مرادفة للفظه الأئونوم، كما هو الحال في لاهوت كيرلس، لا نقبل فقط العبارات التالية: من طبيعتين وطبيعة واحدة مركبة وطبيعة واحدة بعد الاتحاد، بل نعتبرها ضرورية. في إطار مصطلح كيرلس الدقيق تكون عبارة في طبيعتين مستحيلة لكن عبارة في جوهرين تكون ممكنة.

إن تعليم يولييانوس هاليكارنيسوس القائل إن الكلمة وُحِدَ بذاته ناسوت ما قبل السقوط ليس خطأ في ذاته، إذ قبله كلّ الآباء. ما هو خطأ في موقف يولييانوس، كما أشار الأب صموئيل، هو اعتباره أن ناسوت المسيح كان بلا فساد قبل القيامة. أودّ أن أضيف إلى ذلك أن معظم الآباء يفضلون القول إن ناسوت المسيح كان مائتًا بالطبيعة ولم يكن بالطبيعة تحت قوة الموت وحكمه أو تحت الفساد اللذين هما عاقبة الخطيئة. بهذا المعنى، الملائكة أيضًا هم مائتون بالطبيعة. الله وحده هو غير مائت بالطبيعة. لذلك كان موت ربّ المجد في الجسد موتًا طوعياً ولم يكن عاقبة موت شخصي أو موروث. يبدو لي أن

هناك جملتين في هذا البحث تعارضان الموقف الذي حاول البحث أن يدافع عنه. وهما (١) ص ١٥١ «صحيح عندهم القول على أساس ما رأوه بأن ناسوت المسيح كان موضوع هذه الخبرات» هي صدى لكتاب لاون. وص ١٥٠ «أخرج الاتحاد إلى الوجود شخصاً واحداً» تذكّر المرء بالشخص النسطوري الذي خرج إلى الوجود بفعل اتحاد الطبيعتين.

الأب صموئيل : تعود الجملة الأولى فقط إلى ما رآه الناس في المسيح وإلى ما نسجوا عنه من أفكار. لكن في المسيح كانت هذه الخبرات خبرات الله الابن المتجسد. ولذلك لا وجود للتعارض فيها.

ترتكز العبارة الثانية على تشديد سويروس على أن هناك تمييزاً بين الابن قبل التجسد والابن المتجسد. بقوة هذا التشديد يُظهر سويروس أن أقنوم يسوع المسيح، مع أنه متواصل مع أقنوم الله الابن، ليس هو مجرد الأقنوم الثاني. فأقنوم يسوع المسيح هو أقنوم مركّب مكوّن من تلاقي الناسوت واللاهوت. أما العبارة الثانية فتهدف إلى الإشارة إلى هذه النقطة.

الأب ميندورف : عندما نشير إلى المسيح بكونه «طبيعة كلمة الله الواحدة المتجسدة» نعي أنه أقنوم واحد. ونقبل أيضاً عبارة «من طبيعتين»، لكن في هاتين العبارتين لفظة «الطبيعة» تعني جوهرًا ousia.

الأب رومانيدس : يستخدم فلافيان القسطنطيني عبارة

«من طبيعتين» وكأنها مرادفة لعبارة من «جوهريين»، لكن كيرلس والإسكندرانيين لم يستخدموها أبداً بهذا المعنى. إن تحديد المجمع المسكوني الخامس يقبل بوضوح عبارة «من طبيعتين» وفق الاستخدام الكيرلسي أيضاً الذي يتحدث عن «طبيعة واحدة» في المسيح لا عن «جوهر واحد». ولذلك نحن، أصحاب التقليد الخلقيدوني، أحرار في استخدام عبارة «من طبيعتين» بالمعنيين الفلافياني والكيرلسي، لكن لا يجوز لنا أبداً أن نستخدمها وفق معادلة لفظة «الطبيعة» ولفظة «الجوهر».

الأب فلورفسكي: إن التعبير الوارد في الصفحة ١٤٩ والقائل بأن ناسوت المسيح كان منزهاً كلياً عن الخطيئة ليس تعبيراً كافياً. فيجب أيضاً القول بأن المسيح كان معتقاً من الخطيئة الأصلية.

المسيحانية في التقليد الليتورجي لدى الكنيسة الأرمنية

قدس الأب الدكتور مسروب كريكوريان

المصادر والمؤلفون

بالنسبة إلى الدراسة الحاضرة استخدمت كل الكتب الليتورجية للكنيسة الأرمنية، أي كتاب الصلوات، وكتاب الطقوس وكتاب القداس الإلهي وكتاب التراتيل. وبما أن كتاب خدمة وضع الأيدي لا يُستخدم إلا في ظروف خاصة فإنني قلماً اقتبست منه.

نشأت الليتورجيا الحالية للكنيسة الأرمنية ابتداءً من القرنين الرابع والخامس (فهي مكتوبة ابتداءً من القرن الخامس). فكتاب القداس الإلهي^(١) وكتاب الطقوس اتخذنا فعلياً شكلها الأخير في القرن العاشر، لكن كتابي الصلوات والتراتيل أغنياً بأناشيد وألحان وتراتيل جديدة حتى حوالي القرن الخامس عشر. من بني المؤلفين المتأخرين يستحق ذكر أسماء

Archbishop Tiran Nersoyan, Divine liturgy of the Armenian - ١
Apostolic Orthodox Church (New York 1950), p. 295

يوفانيس بليز (١٢٥٠ - ١٢٩٣ أو ١٣٢٦) وغيغوريوس زلات (١٣٥٠ - ١٤٢٦) وأركيل بيتليس (القرن الخامس عشر).

إنّ المؤلفين الأوائل الكبار للكتب الليتورجية هم القديس غريغوريوس المنير (الجائليق ٣٠١ - ٣٢٥)، والقديس نرسيس الكبير (الجائليق ٢٥٣ - ٢٧٣) واسحاق البرثياني (٣٤٨ - ٤٣٩، الجائليق ٣٨٧ - ٤٣٩) والأب القديس مسريوب ماستوك (٣٦٢ - ٤٤٠) ويوفانيس مندكوني (الجائليق ٤٧٨ - ٤٩٠) ومفسيس زوريناكي (القرن الخامس). هؤلاء المؤلفون^(٢) دونوا كلّ الصلوات الأساسية والأناشيد والتراتيل الموجودة في كتاب الصلوات وكتاب التراتيل وكتب الطقوس. أمّا تراتيل عيدي الميلاد والتطهير (عيد دخول العذراء إلى الهيكل للتطهير) فهما منسوبان تقليدياً إلى مفسيس زوريناكي، وتراتيل التوبة إلى الأب مسروب، وتراتيل الأسبوع العظيم والصليب إلى ساهاك البرثياني، لكنّ تراتيل أعياد الأنبياء والرسل وآباء الكنيسة وتجلي المسيح دونها، كما يقال، يوفانيس المندكوني. فيما بعد قدّم رئيس الأساقفة أسطفانوس زونيك (٦٨٨ - ٧٣٥) معظم المساهمات المهمة، إذ أدخل منهج القوانين في كتاب التراتيل ودون تراتيل (orhnuthiwn) فصحية وصلوات غريغور الناركي (٩٥١ - ١٠٠٣) وألحانه وأناشيد المخصصة في معظمها لوالدة الإله

٢ - لمعرفة واضعي التراتيل في الكنيسة الأرمنية أنظر مقدمة

Hakob Anasyan's Armenian Bibliography (بالأرمنية). Erevan, 1959 pp. XLIII-XLVIII-IXV-IXXIV حيث جمعت بدقة عدة لوائح مطبوعة ولوائح من المخطوطات.

أدرجت في الكتب الليتورجية، ونرسييس الممتلئ نعمة (نرسييس كلجنسيس، الجائلق ١١٦٦ - ١١٧٣) الذي نظم عدة أناشيد شعبية. فتراتيل كلجنسيس تزود اللاهوتي بمادة مسيحية وافرة.

المسيح الابن

تتلخص العقيدة المسيحية للكنيسة الأرمنية في «إعلان الإيمان الأرثوذكسي»^(٣) على هذا النحو: «إنا نؤمن بالله الكلمة اللا مخلوق، المولود والصادر عن الأب قبل الأزل، فهو ليس بعده ولا أحدث منه، لكن كما أن الأب هو آب هكذا يكون الابن معه ابناً»^(٤). إن يسوع المسيح هو ابن الله الأب

٣ - «في إعلان الإيمان الأرثوذكسي بعض التشابه مع دستور إيمان كيرلس، لكن لا يمكن اعتباره دستوراً لإيمان كيرلس». في الكنيسة الأرمنية يتلى هذا الدستور أثناء وضع اليد وفي الأحاد الاحتفالية أيضاً في بدء خدمة الصباح وفق: دستور

Yovseph Gathercean (Hanganak hawatoy. The creed of the Armenian Church, Vienna, 1891, PP. 39-42)

الإيمان الأرثوذكسي» ألفه غريغور تاتوي أو مدرسته في القرن الرابع عشر على أساس دساتير نيقية والرسل واثناسيوس. نشر Johannes joachim Schroeder ترجمة لاتينية لهذا الدستور في (Amsterdam, MDCCXI) أما Thesau-rus Linguæ Armenica Paul Ricaut فزودنا بترجمة إنكليزية له في كتاب له بعنوان

The Present State of the Greek, Armenian Churches anno chnsti 1678 (London 1679) PP. 499

إن دستور نيقية هو دستور الكنيسة الأرمنية الرسمي (Divine liturgy, PP. 47.49) لكنني اقتبست في المقام الأول من «إعلان الإيمان الأرثوذكسي» لأنه خاص بالأرمن.

٤ - «أؤمن بالله الإبن اللا مخلوق والمولود منذ الأول: فالأب سرمدي والإبن

المولود الأوحده^(٥) بكونه ولد «ولادة لا تُوصف»^(٦) فهو موجود «في حضن الآب»^(٧) قبل الأزل^(٨). وهو كان «في البدء مع الله، والكلمة (كان) الله، (بكونه) صورة اللا مخلوق وواحداً مع الروح القدس في الجوهر»^(٩). إن ولادته العجيبة من الآب يمكن تشبيهها بشعاع من الضوء:

«أيها النور المشرق من النور، الشمس الحقانية، الولادة غير الموصوفة من الآب، أيها الابن إنَّ اسمك يُمجّد قبل الشمس (أي بزوغ الشمس)، ألخ^(١٠). ومع أن المسيح وُلد من الآب فهو «ليس بعده أو أدنى منه»^(١١)، إنّما مساوٍ له في المجد والقوة. وهو يشارك الخليفة مع الآب والروح القدس^(١٢).

«إن الله الكلمة المساوي للآب

في الخلق والقوة

فصل المياه في اليوم الثالث

سرمدى أيضاً ومساوٍ للآب. وكلّ ما يشتمل عليه الآب يشتمل عليه الإبن أيضاً. » أنظر Ricaut, op. cit., p. 412.

Divine Liturgy, pp. 35 and 110; *Zaynqal Sarakan (Hymnal)* (Is-tanbul, 1838), pp. 18 and 22 (201).

Service-book, p. 368 (probably by N. the Graceful). - ٦

Ibid., pp. 110, 647-48 (*Divine Liturgy*, p. 139); *Mastoc (Ritual)* - ٧
(Jerusalem, 1901), p. 316.

Service-book, pp. 385-86; *Hymnal*, 10 (32), 22, 28, 29, 30, (42). - ٨

Hymnal, p. 30 (the same pp. 42, 56). - ٩

Service-book, p.368; cf. pp. 128, 348, and *Hymnal*, p. 29. - ١٠

Service-book, "Profession of the Orthodox Faith," p. 5. - ١١

Ibid., pp. 385-86. - ١٢

وأخرج الأعشاب والنبات»، ألخ (١٣)

عندما غرق الجنس البشري في الزلل والخطيئة احتاج إلى مساعدة ساوية وإلى قوة ليتخلص من الانحطاط الخلقي والانحلال والموت. فأتم الابن تلك المهمة وصار مخلصاً للجنس البشري في كلِّ العصور والأجيال. ويكونه المحبة السامية، تنازل حباً بخلصنا^(١٤)، ليجد «الخروف الضال»^(١٥). إن عقيدة الخلاص هي من أهم مواضيع الأدب الليتورجي في الكنيسة الأرمنية. في التراتيل نقرأ.

«أيها الكلمة الذي لا بدء له، الواحد مع الآب في الجوهر، الذي كنت قبل الدهور، وجئت لاعتاق خلائتك، إنا نباركك يا إله أبائنا»^(١٦).

كثيراً ما يوجه نرسيس الممتلئ نعمة صلواته وأناشيده إلى مخلص الجنس البشري ويتوسل إليه أن يرحم الخطاة:

«يا ابن الله، الإله الحق، يا من نُزلت من حضن الآب وتجسدت من مريم العذراء القديسة لأجل خلاصنا وصلبت ودفنت وقيمت من بين الأموات وصعدت إلى الآب، إنني خطئت إلى السماء وأمامك، فأذكرني مثل اللص التائب عندما تحيي في

Ibid., pp. 343; cf. pp. 110, 343 and 349 (all by N. Clajensis). - ١٣

See also *Divine Liturgy*, p. 41; *Hymnal*, p. 51.

Service-book, p. 311 (N. Clajensis). - ١٤

Hymnal, p. 128, and *Service-book* p. 647 (*Preces Sancti Nersis Clajensis*, p. 138.) - ١٥

Hymnal, p. 28. - ١٦

ملكوتك . إرحم خللائتك وارحمي أنا المثقل بالخطايا» (١٧) .

إن يسوع المسيح ابن الله الأوحد اتخذ شكل إنسان وولد من مريم العذراء حتى يخلص الإنسان :

إن الكلمة الذي لا بدء له من حيث الأب اتخذ بدءاً من العذراء، بكونه ارتدى البشرية . فاحتواه الرحم وكان في الوقت نفسه مع الأب، وحدّ الزمن ذلك الذي ولد كإله وإنسان (١٨) . كانت ولادة يسوع «عجباً عظيماً ومدهشاً» (١٩) لأنه وإن انحدر من السماء فهو لم يترك الأب :

«أيتها الوحدة التي لا تُوصف أنت وُلدت من العذراء، لكن بما أنك لا تنقسمين لذلك لما تبرحي حضن الأب . فباركك يا إله ابائنا» (٢٠)

كانت ولادة يسوع مدهشة أيضاً، لأنها كانت بلا أب أرضي، إذ وُلد «بلا زرع» (٢١) «إن ابن الأب خارج الزمن وابن العذراء بلا زرع الخالق السماء والأرض يُدلل اليوم في ذراعي أمه» (٢٢)

«إننا نمجد بأناشيد متواصلة والدة الإله مريم القديسة التي

Preces Sancti Nersetus Clajensis, p. 139. - ١٧

Divine Liturgy, p. 145. - ١٨

Hymnal, p. 26. - ١٩

Ibid., p. 28, cf. p. 22 - ٢٠

Ibid., pp. 9, 13, 26 (29), 27, 32. - ٢١

Ibid., p. 26 (29). - ٢٢

حملت الله الكلمة في رحمها بحمل دوغما زرع» (٢٣)

فلكي يخلصنا ابن الله اتخذ طبيعتنا الأرضية الخاطئة من خلال العذراء مريم وهكذا قضى على الموت الحامل الخطيئة:

«دخل (الابن) اللامادي تحت الشريعة وصار مادياً حتى يقدمنا، ذلك المولود من الأرض، إلى الأب. فابن الله الذي هو في حضن الأب حمل على ذراعي (سمعان) الشيخ وهو ابن اربعين يوماً وظهر ظهوراً جلياً أنه إله وإنسان» (٢٤).

«يا ابن الله الذي جئت من الاجساد التي لا تُوصف إلى العالم واتخذت طبيعتنا الأرضية الفاسدة أنك أحييت باشفاقك جدنا الخاطيء إلى حياة أبدية. فنيارك بلا انقطاع مع مراتب الملائكة غير الجسمانيين» (٢٥).

عندما اتخذ الله الكلمة جسداً ودماً، وفقاً للشرائع الطبيعية، اتخذ كل شيء من العذراء ما خلا الخطيئة، وهكذا «صار الإله الكامل إنساناً كاملاً» (٢٦) بكلام آخر، كان المولود أو جسد يسوع بلا فساد وغير قابل للفساد:

«يا مريم العذراء، في رحمك سكن الله المسيح مخلصنا بلا فساد فأياك نمجد» (٢٧) «وأنت ولدت من العذراء القديسة بجسد

Ibid., p. 27. - ٢٣

Ibid., P. 58. - ٢٤

Ibid., p. 56. - ٢٥

"Profession of the Orthodox Faith," *Service-book*", p. 6. - ٢٦

Hymnal, p. 23 (48). - ٢٧

غير فاسد فأنا نمجدك ونمدحك بلا انقطاع» (٢٨) إن لافسادية جسد المسيح بكونها مسألة مهمة ودقيقة كانت موضوعاً لبحث طويل وحاد ولمجادلة أيضاً. فسويروس الانطاكي (٤٦٥ - ٥٣٨) علم «أن جسد الرب كان فاسداً على الصليب وأنه كان عرضة للفساد» (٢٩) هذا التعليم الخاطيء عند سويروس رفضه ودحضه يولييانوس هاليكارنوسوس (في القرنين الخامس والسادس)، لكن أتباعه أيضاً سقطوا في المغالاة وذهبوا إلى حد أنهم أعلنوا «أن جسد الرب ممتنع على الألم وأنه خالد» (حتى قبل القيامة) (٣٠).

لا تقبل الكنيسة الأرمنية هرطقة سويروس المختصة بتألم

Ibid., p. 52.

- ٢٨

٢٩ - Girq Thitoc (كتاب الرسائل) (تيلفيس ١٩٠١) ص ٦٠، إن الأرمن وعلى الأخص الجاثليقيين نرسيس بغريوند (٥٤٨ - ٥٥٧) ويوفانيس جابتين (٥٥٧ - ٥٧٤) أدانوا وأبسلوا سويروس وهرطقته، أنظر كتاب الرسائل الصفحات ٥٦، ٥٧ و٨٣ ويوفانيس أوزنيكي (٧١٧ - ٧٢٨) أنظر أرونند فاردايت ترميماسين، علاقات الكنيسة الأرمنية بالكنائس السريانية (باللغة الأرمنية) (أجميازين ١٩١٨) ص ١٨٥ - ٢٠٣. ومع ذلك فمن المفيد أن نشير إلى أن إسمه لا يذكر بين أولئك الهرطقة الذين أبسلوا في احتفالات وضع اليد - أنظر ميك ماستوك، (كتاب الطقوس الكبير) (أستنبول ١٨٠٧) ص ٢٥٩ - ٦٠. طقس وضع اليد على رجال الدين، الشمامسة والقسوس والأباء ورؤساء الأباء، المرجع المذكور ص ٢٣٤ - ٣٤٣.

٣٠ - زوسروفيك الترجمان القرن الثامن، حرره الأب جارجين يوفسفين (أجميازين ١٨٩٩) ص ١٦٣. زوسروفيك دحض هرطقة يولييانوس (المراجع المذكور، الفصل الخامس ص ١٤٩ - ٨٣) وكذلك مجمع مالزجيرت (منزيكرت) الأرمني - السرياني الذي عقد في أيام الجاثليقي يوفانيس أوزنيكي (زوسروفيك ص ٧٥ - ٨٦). إن إسم يولييانوس هاليكارنوسوس (بودروم) لم يُذكر بين أسماء الهرطقة الذين يُسلبون أثناء خدمة وضع اليد على الإكليروس (طقس وضع اليد ص ٢٥٩ - ٦٠).

الله أي بتألم اللاهوت على الصليب أو رأي يوليانوس القائل بطيفية التجسد والمؤمن بأن جسد يسوع المسيح كان غير فاسد وغير قابل للفساد وأن المسيح، بكونه الوحدة الحقيقية غير الموصوفة للإله الكامل والإنسان الكامل، قد تألم على الصليب:

«تشابه عقيدة الكنيسة الأرمنية عقيدة يوليانوس بعدم قولها إن جسد المسيح كان عرضة للفساد بالضرورة ومنذ البدء، فهي قد تشوّه وحدة (الجسد) باللاهوت، لكنها لا تصبح يوليانية المذهب ومؤمنة بطيفية التجسد. ورغم أنها تضيف عبارة «الذي تألم» إلى التسبيح المثلث تقديسه بالنسبة إلى شخص المسيح بمنظار الوحدة التي لا توصف، فهي لا تشير ضمناً إلى أنها تقبل مذهب تألم اللاهوت» (٣١).

يظهر النشيد الآتي عقيدة الكنيسة الأرمنية فيما يخص المجادلات المتعلقة بتألم اللاهوت وبطيفية التجسد:

«أيها المسيح) يا من أنت من اللاهوت الالمخلوق ومن الطبيعة الالامتغيرة، يا من ولدت من العذراء في شكل أول الخلائق وجمت إلى الألام طوعاً أننا نتضرع إليك أن ترحم خلقتك» (٣٢).

كان خلاص الإنسان مسرى أتمه ابن الله. فبدأ بتجسد المسيح العجيب، وعُبر عنه في بشارته وعجائبه، وأنجز من

M. Ormanean, *Azgapatum* (History of the Armenian Nation), - ٣١
vol.I (Istanbul, 1912), p. 841.

Hymnal, p. 29.

خلال آلامه على الصليب، واستمر في موته، واختتم في قيامته
الظافرة. فالمسيح تألم من أجلنا ليخلصنا من الخطيئة ومن الإدانة
بسبب الخطيئة:

«مع طبيعتنا التي لبستها
سُمرت على الصليب،
معتقاً إيانا من الخطايا،
ومن قيود أجدادنا» (٣٣).

تحمل المسيح الآلام من أجل خلاصنا طوعاً وتواضعاً وفي وحدة
متناغمة بين الله والإنسان:

«كان (المسيح) مُهتماً بكل حزن بالآلام
فبكونه في ثلاثة فقط،
روحي تريد أن تخلص العالم،
لكن طبيعة جسدي ضعيفة»
لم تكن الواحدة قوية وجبارة
والأخرى ضعيفة واهنة،
بل أنها واحدة ولهما الوحدة نفسها،
إذ تحمل الآلام طوعاً» (٣٥)

موت يسوع المسيح هو الانتصار على الموت لكل الذين
آمنوا والذين سيؤمنون به:

«هو الابن الأوحيد وكلمة الله والكائن (= الجوهر)

-
- Service-book*, pp. 115-16 (by N. the Graceful). - ٣٣
Ibid., p. 112 (N. the Graceful). - ٣٤
Ibid., pp. 71-72 (N. the Graceful). - ٣٥

السرمدي، الذي تنازل ليتجسد من والدة الله القديسة الدائمة
البتولية.

«فأنت الذي لا تتغير صرت إنساناً وصلبت ووطئت الموت
بالموت» (٣٦).

بقيامه المسيح المعجزة منحنا حياة جديدة وأبدية:
«المسيح قام من بين الأموات ووطيء الموت بالموت
وبقيامته منحنا الحياة، فإياه نمجد إلى كل الدهور. آمين» (٣٧)
لما قام المسيح من بين الأموات أضواء كالنور (٣٨) ووعدنا
بالحياة الأبدية:

«إن الملائكة غير المتجسمين
المجتمعين حول معطي الحياة والقبر المقدس
أعطوا رسالة الحياة الأبدية إلى الجنس البشري» (٣٩)
وبعد قيامته صعد إلى السماء وأرسل لنا الروح القدس
روح العزاء والالطف:
«فارتفع إلى السماء
وارتقى على أجنحة الرياح،
إذ ارتفع بالجسد نفسه
الذي مات فيه وقام.
وبالبشرى وعدتهم أن ترسل لهم روح أبيك،

Divine Liturgy, Introit (The Monogenes), p. 35 (and 131). - ٣٦

Ibid., introit for Easter day, p. 157 (*Service-book*, p. 425). - ٣٧

Service-book, p. 117 (*Divine Liturgy*, p. 113). - ٣٨

Ibid., p. 117. - ٣٩

وبعد ذلك باركتهم، يا رب،
وصعدت إلى السماء في المجد،
ورفعت معك طبيعتنا البشرية
التي جعلها الشرير معدة للجحيم،
واصعدتها فوق طبيعة الأرواح النارية» (٤٠).

سوف يجيء المسيح ثانية بالجسد نفسه ويمجد الأب ليدين
الأحياء والأموات، «وذلك المجيء (سيكون) القيامة لكل
البشر» (٤١). وحتى في كتاب «الإعتراف بالإيمان الأرثوذكسي»
نقرأ:

«نؤمن بالمكافأة على الأعمال فبالحياة الأبدية للأبرار
وبالآلام الأبدية للخطاة» (٤٢)
يعطي نرسيس كلجنسيس في نشيده الاتيين صورة حية
عن الدينونة الأخيرة التي يجريها الابن عند نهاية العالم:
«أنت هو المستوي على عرش الرب
والمقبل العبادة من الخلائق.
وأنت الذي تدين العالم بالإستقامة
وتكافئه بحسب أعماله» ، إلخ (٤٣)
«أسرار الناس تكشف،

Divine Liturgy, p. 159. - ٤٠

"Profession of the Orthodox Faith," *Service-book*, p. 7 (the - ٤١
Nicene Creed, *Divine Liturgy*, p. 49) and Ricaut, p. 414.

Service-book, *ibid.*, and Ricaut, *ibid.* - ٤٢

ibid., p. 119. - ٤٣

وأفعالهم كلها تُعلن .
فتتوج أعمال الخير،
وستلقي أعمال الشر في نار لا تُطفأ» (٤٤).

مسألة طبيعتي المسيح

جاء ابن الله، الكلمة الكائن منذ البدء، في الوقت
الملائم إلى العالم ليخلص الناس من الشرّ والخطيئة والموت. فمن
مريم العذراء «اتخذ جسداً ونفساً وعقلاً وكلّ ما (في) الإنسان،
(٤٥) ما خلا الخطيئة» (٤٦)، فصار الإله الكامل إنساناً كاملاً، لا
افتراضاً بل حقاً (٤٧). وفي كتاب «الإعتراف بالإيمان الارثوذكسي»
تُصاغ عقيدة تجسد يسوع المسيح هكذا:

«نؤمن بأن الله الابن، أحد الاقانيم الثلاثة، ولد من
الآب قبل كلّ الدهور، وبأنه لما نزل إلى مريم العذراء في الزمن
واتخذ دمها وحده بلاهوته. تسعة أشهر بقي صابراً في رحم
العذراء الطاهرة، فصار الإله الكامل إنساناً كاملاً بنفس وعقل

Ibid., pp. 9-20.

- ٤٤

Nione Gred, *Divine Liturgy*, p. 47

- ٤٥

- ٤٦ - إن العقيدة النيقاوية المعتادة في الكنيسة الأرمنية لا تحوي عبارة «ما خلا
الخطيئة» *χωρίς αμαρτίας* إنما توجد في نص نرسيس لامبرون (القرن
الثاني عشر)، أنظر Xarhrdacuthium srbazan pataragi (تفسير
القداس الألهي) (أورشليم، ١٨٤٢) ص ٥٦.

٤٧ - ترد في النص الأرمني لعقيدة نيقية عبارة «لا افتراضاً بل حقاً» لكن رئيس
الأساقفة) تيران نرسويان (القداس الألهي، ص ٤٧٠) ترجمها بعبارة «لا في
الظاهر بل في الواقع» (!)

وجسد . فهو شخص واحد ووجه واحد وطبيعة واحدة متّحدة . صار الله بشراً بلا تغييراً أو تحوّل ، حبل به بلا زرع وكانت ولادته بلا فساد . كما أن لا بدء للاهوته هكذا لا نهاية لئاسوته ، وكما أن يسوع المسيح كان في الأمس وهو في اليوم فسيبقى هو هو إلى الأبد» (٤٨) . منذ القرن الرابع كان تجسد المسيح عرضة لبحث مثير للخلاف . وحتى القرن الخامس واجهت الكنيسة الأرمنية تعاليم الهرطقة المضلّة ودحضتها وذلك ضمن إطار الكنيسة المسكونية ، وبعد ذلك مع الكنائس الارثوذكسية اللاخليقية . في القرن الرابع رفض أريوس الاسكندري وحدة المسيح مع الأب في الجوهر . وفي عام ٣٢٥ اجتمع ٣١٨ أباً في نيقية وأدانوا الهرطقة الأريوسية ، وأعادوا تثبيت تعليم الرسل حجر أساس للإيمان في الكنيسة المقدسة (٤٩)

«اليوم بشرّ الآباء القديسون بالكلمة بكونه موجوداً منذ البدء ومولوداً بحال لا توصف من الأب قبل الدهور وموجوداً مع الأب الخالقي منذ الأزل وواحداً في الجوهر مع الروح» (٥٠) .

رأيتُ في ذلك المجمع الكلمة منبعثاً من الاب ومُعترفاً (بالمسيح) مولوداً دون أن يكون مخلوقاً ، واحداً على الدوام في الجوهر مع الأب والروح القدس . (والآباء) دحضوا الهرطقة بكلمات نيرة وابسلوا أريوس وشيعته المجدّفة» (٥١) .

Service-book, p. 6; cf. Ricaut, pp. 412-13. - ٤٨

Hymnal, p. 433; Book of letters, pp. 44-45. - ٤٩

Hymnal, p. 433. - ٥٠

Ibid., p. 437; see also Ritual of ordination, p. 259. - ٥١

في القرن الخامس أعلن بطريرك القسطنطينية نسطوريوس (٤٢٨ - ٤٣١) أن في المسيح شخصين متميزين شخصاً إلهياً وشخصاً إنسانياً. فاعتقد وعلم أن «مريم لم تحمل الله، بل الإنسان المخلوق، وكأنه أحد النبيين، لكنه (المسيح) كان أعظم من النبيين، لأنه صار هيكل الله الكلمة» (٥٢).

في عام ٤٣١ اجتمعت الكنيسة المسكونية في أفسس وأدانت هرطقة نسطوريوس وأعلنت أن مريم العذراء أم لله Theotokos وصرحت بأن مريم لم تلد إنساناً فقط، بل ولدت إلهاً وإنساناً معاً، وأكدت صيغة كيرلس الأسكندري «واحدة هي طبيعة الكلمة المتجسد» (أو «كان للكلمة المتجسد طبيعة واحدة»):

«الكلمة ليس جسداً واللامتجسد صار متجسداً بطبيعة متحدة من طبيعتين. وتألم على الصليب الرباعي الأجنحة ثم قام من القبر غير عارف فساداً. (والآباء) أبسلوا نسطوريوس وشيعته المجدفة» (٥٣)

في القداس الإلهي عند الكنيسة الأرمنية يفسر تجسد المسيح بوضوح عجيب في العبارات التالية: «ولأنه صار حقاً إنساناً لا تخيلاً وصار متجسداً، في وحدة لا اختلاط فيها، من

Book of letters, p. 67.

- ٥٢

Hymnal, p. 437; cf. Ritual of ordination p. 259

- ٥٣

المرشح للكهوت: «هل تبسل وتبترأ من نسطوريوس الذي لا يعترف بأن العذراء مريم هي والدة الآلة Theotokos، وتؤكد أن للواحد المولود منها ليس إلهاً فقط بل إنسان أيضاً؟ فيجب المرشح للكهوت: إني أتبرأ منه وأبسله.

أم الله مريم العذراء القديسة، فقد تحمّل كلّ آلام طبيعتنا البشرية بلا خطيئة» ألخ^(٥٤). ففي أناشيد عديدة جداً يقع التشديد على أن المولود من مريم العذراء كان إلهاً وإنساناً^(٥٥)، وأن مريم كانت والدة الإله Theotokos. هنا أقتبس مقطعاً شعرياً: «إن الابن الذي كان قبل الدهور ظهر اليوم في العالم إلهاً وإنساناً كاملاً»^(٥٦) ألخ. يطلق لقب والدة الإله عادة على مريم أم الله في الأناشيد: «تعترف الكنيسة المقدسة بأن والدة الإله مريم العذراء لم تعرف فساداً، إذ بها أعطي لنا خبز الخلود وكأس الابتهاج»^(٥٧).

في القرن الخامس تقدّم كثيراً أفتيخيس الإسكندري الكيرلسي المتحمس في صراعه ضد الهرطقة النسطورية حتى وصل إلى الشك في وجود الناسوت الكامل عند المسيح. فيفترض به أنه آمن بأن ابن الله ظهر في العالم بمظهر إنسان، لكنه لم يكن من جوهرنا نفسه^(٥٨). في مجمع خلقيدونية عام

- ٥٣ - Hymnal, p. 437, cf. Ritual of ordination p. 259
 ٥٤ - Divine Liturgy, p. 67.
 ٥٥ - Ibid., p. 30.
 ٥٦ - Ibid., p. 30 (42).
 ٥٧ - Ibid., p. 33.
 ٥٨ - كتاب الرسائل ص ٦٦. أدانت الكنيسة الأرمنية أفتيخيس ومجمع خلقيدونية عام ٥٠٨ في الجلسة الثانية من مجمع دوين، أثناء ولاية الكاثوليكس باجدان الأول من اوئمس. Book of letters', pp 48-51; M. ormanean, History of the Armenian Nation, pp. 509'511
 في كتاب طقس وضع اليد (ص ٢٦٠) نقراً: يسأل الأسقف: هل تبسل أفتيخيس الذي ينكر التبرير بنعمة المسيح؟ «فيجب المرشح للكهنوت: «انني أتبرأ منه وأبسله».

٤٥١ أُدين أفتيخيس وُصِّدَّ على كتاب البابا لاون الأول وأعلنت عقيدة وجود طبيعتين ومشيئتين وفعلين في المسيح . أما الكنائس الأرثوذكسية في مصر وسوريا وأرمينيا^(٥٩) فرفضت عقيدة خلقيدونية . وحدث جدال طويل الأمد تورط فيه أباطرة بيزنطيون ، لكنَّ العقيدة أُعيد تأكيدها في المجمعين المسكونيين الخامس (٥٥٣) والسادس (٦٨٠) ، وكذلك في مجمعي لاتران (٦٤٩) وتوليدو (٦٧٥) ، وفي النهاية «انتصر مجمع خلقيدونية ، ولكن فوق الخرائب»^(٦٠) . إن الطبيعتين الإلهية والإنسانية في المسيح ، وفق عقيدة خلقيدونية ، اتحدتا من خلال أفنوم الله الكلمة . بكلام آخر ، إن ابن الله باتحداه طبيعة إنسانية بشخصيته الإلهية امتلك طبيعتين ، إلهية وإنسانية ، بمشيئتين وفعلين . خلافاً لعقيدة الطبيعتين تعلن الكنائس القبطية والسريانية والأرمنية عن وحدة عجيبة وغير موصوفة للطبيعتين في المسيح وتعترف بمولود واحد من مريم العذراء بكونه إنساناً حقيقاً وإلهاً في الوقت نفسه ، مع لاهوت يوقر ناسوتاً ومع

٥٩ - في عام ٤٥١ حارب الأرمن ضد الفرس والمزيدية ودافعوا عن المسيحية بدمهم ولذلك لم يشاركوا في مجمع خلقيدونية . في عام ٥٠٨ وفي الجلسة الثانية من مجمع دوين اديننت عقيدة خلقيدونية رسمياً وكأنها نوع من النسطورية والديوفيزية .

٦٠ - Henri Grogire, "The Byzantine Church" in *Byzantium*, . N.H. Baynes and h. St. L.B. Moss (Oxford, 1961), p. 104.

«إنتصر مجمع خلقيدونية ، لكن فوق الخرائب : إنتصر رغم قوة وعبقرية زينون وأنسطاسيوس وجوستينيان وثيودورا وهراكليوس الذين سعوا بتفان عجيب وبرؤية واضحة تماماً ، أكثر من قرنين ، إلى إزالة البغض ولاستئالة الصوفية المنافسة . فتباروا مع قوى كانت أقوى منهم» .

ناسوت يوقر لاهوتاً^(٦١). في أناشيد الكنيسة الأرمنية تُعلن بتكرار صيغة «الوحدة غير الموصوفة» ويُشدّد بوضوح على أنه من خلال الوحدة غير الموصوفة كان المسيح إنساناً كاملاً وفي الوقت نفسه إلهاً كاملاً^(٦٣). والحق، إنه يجب على المرء ألا يتوقع وجود تفاسير مسيحية مفصلة في الأناشيد، ومع ذلك فهي تزودنا بأفكار من العقيدة الأرثوذكسية للكنيسة بكلمات وتأكيدات واضحة ومحدّدة. سأعطي بعض الأمثلة:

«أنا نتوسل إليك يا ابن الأب السرمدى الذي وُلدت اليوم من العذراء بكونك بالطبيعة الإله والإنسان والمخلوق الأول فارحماً»^(٦٤).

«ظهر خالق السماء والأرض، بكونه إلهاً وإنساناً، في مجاري نهر الأردن. فجسده اتّحد باللاهوت وغسل العالم من الخطايا. فمّجده إلى الأبد»^(٦٥).

«إن الكلمة الذي لا بدء له عندما ابتدأ من العذراء ظهر بالجسد في العالم وراه رسل كلمة الحق وأعلن نفسه للمسكونة إله وإنسان»^(٦٦).

استخدمت الكنيسة الأرمنية لقرون عديدة نشيداً من ثلاثة

<i>Book of letters</i> , pp. 48-49.	- ٦١
<i>Hymnal</i> , p. 28, etc.	- ٦٢
<i>Ibid.</i> , pp. 29, 30, 36, 38, 51, 52, etc.	- ٦٣
<i>Ibid.</i> , p. 38.	- ٦٤
<i>Ibid.</i> , p. 51.	- ٦٥
<i>Ibid.</i> , p. 70 (78, 87).	- ٦٦

أبيات يدين مجمع خلقيدونية وكتاب لاون وذلك في عيد آباء الكنيسة، لكنه حذف في بدء القرن الثامن عشر (١٧٢٦ - ١٧٢٧) أثناء محاولات إصلاح ذات البين بين الجماعة الأرمنية الكاثوليكية والكنيسة الأم. هنا اقتبس فقط المقطع الشعري الأخير:

«أيها البرعم الجميل النابت من جديد من جذور الآباء القديسين، يا زهرة الإيمان، وشاهداً عظيماً للمسيح، يا ديوسقوروس القديس، إنك في مخالفتك المجمع غير الشرعي أبسلت لاون وكتابه الكفري»^(٦٧).

الخاتمة

أظهرت الكنيسة الأرمنية علامة تساهلها حتى قبل الحركة المسكونية عندما حذفت النشيد الذي يدين مجمع خلقيدونية وكتاب لاون. وآمل أنها باتفاقها مع الكنائس الأخوات ستحذف أيضاً الإبسالات من طقس وضع اليد مزيلة بذلك كل الآثار المحزنة الماضية وتفتح طريقاً للتساهل المتبادل والمحبة والتعاون.

Manuscript Hymnal of Antelias (Lebanon), by the scribe Ka-rappet Cicol, dating from 1320, pp. 552-53. In the Ritual of ordination (p. 260).

نقرأ:

يسأل الأسقف: «هل تبسل لاون الهرطوقي وكتابه التجديفي الذي كتبه قاسماً الواحد إلى إثنين؟» (يسوع المسيح). فيجيبه المرشح للكهنوت: «إنني أتبرأ منه وأبسله».

النقاش المتعلق ببحث الدكتور مسروب كريكوريان

٦ - تعليقات على بحث الأب كريكوريان :

رومانيدس : إن ناسوت المسيح قبل القيامة فإن (θνητή) . وموت المسيح هو فساد (φθορά) طبيعته الإنسانية الذي هو انفصال النفس عن الجسد، لكن ليس انفصال النفس أو الجسد عن الاتحاد الأقنومي بالكلمة. لكن هذا الفساد (φθορά) أو موت ناسوت المسيح ليس ذوباناً أو انحلالاً (διαφθορά) للنفس أو الجسد. فالمسيح لم يصبح أبداً جثة بأعضاء تنحل كما يُصوّر على نحو هرطوقي في بعض الصور البروتستانتية والكاثوليكية.

أرغب في السؤال عما إذا كانت هذه التميزات موجودة في لاهوت سيروس. إن هرطقة يوليانوس كانت أن جسد المسيح قبل القيامة غير قابل للفساد (ἀφθαρτος).

صموئيل : كان جسد المسيح، عند سيروس الإنطاكي قابلاً للفساد قبل القيامة. فلفظة «الفسادية» (Corruptibility) عنت عنده قابليته للألم والموت بمعنى حقيقي. أود أن ألفت

الانتباه إلى أن الاقتباس في الصفحة ١٦٦ لبحث الأب كزيكوريان يُناقض ما في الصفحة ١٦٧. يُشكك فيما إذا فهم التقليد الأرمني سويروس المرفوض عنده فهماً حقيقياً. في تاريخ ميخائيل السرياني يشير الكاتب إلى أنه في سنة ٦٢٧ ب. م. وصلت الكنيسة السريانية والأرمنية إلى اتفاق في المسألة الموضوعية تحت البحث. فالحادثة يجب أن تُحترم.

كزيكوريان: مؤخراً تفحصت الكنيسة الأرمنية تعاليم سويروس ويوليانوس عن كتب، وعلى الأخص من قبل البطريرك ملاخيا أورمانيان ورئيس الأساقفة جارجين يورسفيان والأستاذ أروند ترميناسيان.

دماسكينوس: لم أقل إن النصوص ترجمت من السريانية أو من اليونانية، إنما قلت فقط إن الترجمات التي نشرها المونوفيزيون السريان أعطيت لها ميزات نسطورية. هناك كتاب أرمن يلومون الخلقيدونيين على النحو التالي: هم أحياناً يدعون المسيح نفسه الواحد كشخص فريد أوجد، وابن لله والرب المولود الأوجد، ويعلمون عنه أيضاً أنه غير مختلط في طبيعته، ويقولون إن أولئك الذين يفكرون في أن طبيعتي المسيح - لاهوته الكامل وناسوته الكامل - اختلطتا وامتزجتا يجب إبساھم. والآن إذا كانت هناك طبيعتان غير ممتزجتين وغير متغيرتين، فالمرء يؤمن بثالوث رباعي. انطلاقاً من هذا الإيمان أدينت الميول المنتسرة في المجمع المسكوني الرابع. في ما يتعلق بلا فسادية جسد المسيح (بعدم قابلية جسده للفساد) نرى تأثير يوليانوس عند كتاب

أرمنين آخرين: «إن أولئك الذين يتجاسرون على دعوته فاسداً يسلمهم الآباء القديسون الذين يقولون: من يتجاسر على دعوة موت الرب المعطي - الحياة وآلامه المخلّصة أنها فاسدة كما لو حدثت مع إنسان عادي ولا يعترف بأنه ممتنع على الألم عند آلامه وغير مائت عند موته بكونه إلهاً تكون عنده كل الأشياء مستطاعة، فليكن مبسلاً».

كريكوريان: إن الكنيسة الأرمنية رفضت مجمع خلقيدونية لا لمحتواه، بل لأسباب تاريخية معينة أيضاً.

المطران صموئيل: منذ عشر سنوات عمل مؤتمر من اللاهوتيين من بطريركية الإسكندرية اليونانية على الموضوع نفسه الذي قدمه كريكوريان فلم يجد اختلافات لاهوتية بين الكنيستين الخلقيدونية واللاخلقيدونية. من المعروف أن المصطلح يختلف في التقليدين الكنسيين، لكن هناك اللاهوت الأساسي نفسه، مع أنه موجود بطريقة مختلفة في التطبيق. كانت هناك في الإسكندرية لجنة مشتركة مع ممثلين فيها من الكنائس الأرثوذكسية اليونانية والأرمنية والقسبية. هذه المجموعة هي مجموعة غير رسمية ونتائج بحوثها لم تنشر بعد.